

وزارة التعليم العالي والبحث  
العلمي  
الجامعة المستنصرية  
كلية الآداب  
قسم اللغة العربية

# الألفاظ المحورية في شعر ابن خفاجة الأندلسي - ت: ٥٣٣هـ - دراسة دلالية -

رسالة قدّمتها الطالبة

جيهان جاسب داود

إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية وهي جزء  
من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ.د. نهاد فليح حسن

٢٠١٣ م

بغداد

١٤٣٤ هـ

## الخاتمة

- أ -

استدللنا على ألفاظ (الليل) ومرادفاته في ديوان ابن خفاجة في استعماله لهما على المستوى الحقيقي والمجازي التي معها رؤية الشاعر للبيئة التي عاشها ولغة التي استعمل مستوياتها وقرائنها من ترادف وتضاد وتقابل في سياق التعبير الشعري. وبعد إحصاء لمفردة (الليل) وجدت اطراد هذه اللفظة في أوصافه الكونية والطبيعية بمرادفاته اللفظية المعروفة .

وقد امتاز الليل عنده بصفتين متقابلتين: الأولى: الظلام والوحشة والخطر، والأخرى: امتزاج لون الليل بالوميض والبرق وتحريك مشاعره لا سيما ارتباط هذا العنصر الكوني بعناصر أخرى تضيف عليه صفة البهجة والضوء كالقمر والنجوم. ومن الألفاظ التي اقترنت بلفظ الليل (الدجى)، وقد أطرده استعمال هذه اللفظة عند الشاعر في أوصافه للطبيعة وهي حالة من أحوال الليل.

إذ ألفينا هذه التقاربات اللفظية عند الشعراء الأندلسيين بين (الصبح، والدجى، والظلام)، ومن متعلقات الليل اللفظية (السرى، والمبيت، والعشية، والسدفة) والسرى موضع تجاذب حديث الخلان في أثناء السير، أما المبيت فهو انقضاء الليل وانتهائه وأراد بالعشية مدخل الليل أو بدايته حيث تزول الشمس إلى المغيب، فالعشية لفظ محوري لدلالة زمنية.

وهي الظلمة التي يخالطها الضوء، وجمعت (السدفة) بين لفظين متضادين (الضوء والظلام).

- ب -

من ألفاظ الفضاء الكوني المتصلة بالفضاء الخارجي المؤثرة في الشاعر ببصره وفكره لفظ (النهار) ومتعلقاته، إذ يعدّ لفظ (النهار) لفظاً محورياً يدور في نظم الشاعر عن معاني (الضوء، والنور، والصبح، والفجر، والشفق، والعلق). والنهار دائماً لفظ مقابل للظاهرة الكونية الأخرى (الليل)، وتعدّ لفظة (النهار) بدلالاتها الاستعارية محوراً مقارياً لمعاني (الشيب، والظهور، والخروج، والانبعاث) إذ تمثل معنى مشتركاً للتعبير عن النهار.

- ت -

وأخذت (السماء) حيزاً كبيراً في شعره، إذ ابدع في وصفها وتناول جزئيات مكوناتها.

أما مفردات الطبيعة المتعلقة بالسماء فهي (النجوم) وما يتصل بها من كواكب أخرى ك (الثريا) و (الشهاب) و (السهاء) و (السّمك) و (الشّعري) و (القمر).

وقد ارتبطت توظيف (الثريا) و (الشهاب) بذكر الممدوح بظاهرة القوة والفروسية ولمعان السيوف بالحروب وجميعها معانٍ استعارية مستمدة من مفردات السماء.

أما (السهاء) فقد تكرر استعمالها مفردة من مفردات النجوم لفظاً محورياً في فن الغزل والمدح والرياء، ف (السهاء) مدخل لنيل رؤية القمر بالتمام، لأن من صفاته الاستدارة التامة.

وإذا ما جمع مفردات عناصر السماء المضيئة فهو يجمعها بلفظ (الكواكب) وقد تكرر هذا اللفظ بما يشكل ظاهرة باستعمال مفردات السماء، وكانت هذه المادة رمزاً للتغزل بالحبيبة.

أما (السّمك) فهو كوكب السماء المعروفة وكانت رمزاً لدلالة القيمة العليا في الممدوح.

أما كوكب (الشّعري) فقد انخفض مستوى استعماله كلفظ محوري في لغة الشاعر وكانت مادة تشبيهية للحالة التي يكون عليها الواقع، ف (الشّعري) لا تضيء ولا تبعث نورها إلا إذا أحاط بها ظلام الليل.

(الثريا) مجموعة من النجوم المجتمعة على بعضها وظفها الشاعر لفظاً محورياً للدلالة على القيمة المميزة في ممدوحه كتميز هذا الكوكب في السماء، فالممدوح يتفاعل مع الواقع كما تتفاعل جزئيات (الثريا) مع بعضها لتضيء السماء.

وكوكب (القمر) من عناصر السماء البارزة وقد اطرده استعماله بألفاظه المرادفة عند الشاعر وكغيره من الشعراء كان (القمر) مادةً للاشراقات النفسية التي تسعى إلى البقاء كما يسعى (القمر) إلى الظهور دائماً، أما استدارته فكانت مادة تشبيهية مهمة لوجوه الندمان، و (البدر) من أسماء (القمر) أو حالة من حالاته للتعبير عن التمام وعدم النقص واستدارة البدر يتناسق دائماً مع (الهالة) وهو الضوء المحيط بالبدر في تناسق طبيعي معروف.

أما (الشمس) فكان لفظاً محورياً ظاهراً في مفردات الطبيعة عند ابن خفاجة استعمالها لصورٍ بيانية مختلفة للتعبير عن الضوء والجمال وقد اخذ الشاعر من حركتها في الظهور والخفاء دلالة محورية لإضفاء صفة الاحياء على هذا الكوكب.

ومن ألفاظ الطبيعة الأخرى التي تظهر في السماء مصاحبة (المطر): (البرق)، و(الرعد)، و(الغيم)، و(السحاب)، و(الريح)، و(النسيم)، و(الندى) وهي من ألفاظ متعلقات السماء كانت ألفاظاً محورية للتعبير عن الجوارح الإنسانية، فللبرق والمطر (راحة) تسكب الخير كما تسكبه يد الممدوح.

أما صوت (الرعد) فكان رمزاً لشدة الصوت وقوته حتى احدث وقرأ في سمعه عند نزول المطر، و(المطر) من الألفاظ التي اطرده استعمالها عند الشاعر إذ تجاوزت المائة مرة باستعمالات تعبيرية ودلالات محورية مختلفة تدور حول السقي والخير والكرم.

أما (الغيم) فهو رمز لنزول المطر، واهم خاصية (للغيم) في الدلالة المحورية هو الحجاب ومادة لستر السماء والكواكب عن الأرض فهي تخفي عناصر السماء كما يخفي البرق وجه الحبيبة.

ومن أنواع الغيوم (السحاب) وقد طغى استعمالها في شعره مؤكدة علاقته الوثيقة بالطبيعة وتأثيرها فيه وهي تعبر عن الحالة الشعورية للشاعر.

و(الندى) في دلالاته المحورية رمز البلل والرطوبة في لغة الشاعر، وكان مادة للتقرب من الممدوح وطلب شفاعته و (الندي) يشابه الدمع الذي قرّ بعين الشاعر.

ومما يصاحب المطر (الريح بأنواعها) منها ريح الصبا، وريح الجنوب، وريح الشمال، وريح الندى، وقد طغى استعمال (الريح) عند الشاعر بتوصيفات متعددة منها حقيقي ومنها المجازي (ريح الشباب، ريح الشبيبة) وهي في دلالاتها المحورية تدور في دلالة عامة هي تذكر واستعادة أيام الشباب التي عبرت مسرعة كعبور (الريح) فهي أداة لبعث الحياة في الخليج.

أما (النسيم) وهي الريح الخفيفة الباردة التي تقترن بأول النهار (الصباح) وهي مادة تهز مشاعره عند ذكر الحبيبة .

- ج -

وتعد لفظة (الأرض) من الألفاظ المحورية التي جسد فيها مشاعره الحسية مستوحى من حركتها وسكونها مادة خصبة لأدبه وخياله وكثيراً ما كانت (الأرض) المفردة الطبيعية التي تقابل (السماء) ومحور هذين اللفظين يتجسد عند الشاعر في دلالة التعبير عن العلو والارتفاع والسمو وما يقابلها من دلالة الانخفاض.

لمسنا أن هذا اللفظ المحوري الطبيعي (الأرض) كثيراً ما يضيف عليه ملامح قد تكون جمالية وقد تكون ضد هذا، لان (الأرض) بترامي أطرافها تمثل محوراً في معنى كل ما هو مجهول للشاعر ولا يمكن ادراكه .

وقد أهمل الشاعر مفردة (الصحراء) وما تعلق من معنى محوري للجذر (ص، ح، ر) بل أفينا مفردات هذا اللفظ أو مشتركه الدلالي العام وهي ألفاظ (المفاضة، البيداء، السبب، القفار) بما يخص معنى بإضافات دلالية على المعنى المحوري.

وكان الجبل لفظاً محورياً لقصيدة تامة كاملة من قصائد ابن خفاجة أضفى عليه الملامح الإنسانية فكان محوراً مستقلاً لكل الموضوعات التي دارت حولها القصيدة.

أما (الوادي) فهو من عناصر مكونات الأرض وقد استعمله بصيغة المفرد حين أراد التعبير به عن صفة الممدوح في دلالة الاتساع وعمق القاع والبعد.

و (الهضبة) من عناصر الأرض وهي رمز لكل ما ارتفع واستدار كانت مادة للتعبير المجازي عن العزة والكبرياء والقوة والعلو.

ومن المفردات الطبيعية التي تكررت في ديوان الشاعر (الثرى) ومرادفاتها (الرمال والأثرية) وهي من عناصر مكونات الأرض، أراد بها تشخيص مكان بعينه يلزمه من هو دون الشاعر في مكانته ومنزلته لأن (الثرى) رمز للفقر تبلله ماء المزنة.

أما (الغبار) فمن مفردات الطبيعة لأنه مادة الأرض المتحركة التي تنثره الرياح وكان رمزاً حاجباً للرؤيا حتى كأن الضوء والنور يخفت ويزول أمامه.

ومن مرادفاته (النقع) ويتعلق بمحورية دلالة الغبار في حجب الرؤية إذ يحجب الهلال في أيام السرار كما يحجب أرض المعركة.

أما (الحجارة) و (الصخر) فمن مكونات الطبيعة وهما رمز محوري للشيء الصغير غير المؤذي عند الشاعر.

ومن مواد الأرض المتحركة (الماء) وجمعه (المياه) وقد طغى هذا اللفظ المحوري في شعر ابن خفاجة لأسباب فنية منها شيوع هذا اللفظ بمعانيه عند المشاركة ثم أثرت البيئة الأندلسية في شعره بما عُرف عنها بأنها طبيعة يكثر فيها الأنهار والجداول وهي في اطراد استعمالها رمزاً لاهتمام الشاعر بمواد الطبيعة واهتمامه بها فكانت مادة تعبيرية لإثراء لغته في فن (الوصف والغزل والمدح).

و(الماء) مادة (النهر) وهو رمز يحمل دلالة الغربة لأن (النهر) كان يسيل في أرضه ووطنه فإذا ما تذكر كان (النهر) من ملامح الوطن ومكوناته فَعَلِقَ في نفسه، و(النهر) مادة بصرية للتعبير عن الطبيعة، يزداد على ذلك أن (النهر) مادة محورية تعبر عن اللون ك (البياض، والزرقة، ولون خضاب العذراء).

أما (البحر) فمادته الماء وقد اطرده استعماله في شعر ابن خفاجة باستعارة معاني لهذا المكون الطبيعي وأهم المعاني المستعارة له (السعة وتراحم الأطراف والبعد والكرم).

ومن اشكال الماء في الطبيعة المنظورة (الغدران والجداول والخلجان) وكانت ألفاظاً محورية عند الشاعر لدلالات على معانٍ مستعارة منها التعبير عن مشاعر العاشق والعذوبة والصفاء واللون الأزرق.

ومن الألفاظ التي شكلت محوراً مهماً في الطبيعة النابتة في لغة الشاعر هي (النبات) وقد قصد بها كل ما ينبت على تربة الأرض وقد تعلقت بالنبات ألفاظ هي من أجزاء النبات ومن متمماته وقد تفاوت استعمالها بين (الاطراد والانتساع والتضييق والانحسار)، واهم هذه الألفاظ: (الغصن) و (الثور) و (الروض) و (الأزهار) و (الورود) و (الشجر).

ثم خصَّ (الشجر) بألفاظ انتقل فيها من العموم إلى الخصوص وهي (الخرامى، والعنم، والبلس، والرند، والبشام، والآراك، والأيكة، والدوحة، والسرحة، والغضى). وهي أسماء أشجار ألفها الشاعر في الطبيعة، لها صفاتها الخاصة وخصائصها المستمدة من دلالتها المتعارف عليها.

واستعمل (الأزهار والورود) بمسمياتها الخاصة وهي لفظ (الاقحوان، والسوسن، والنرجسن، والجلنار) ومن متعلقاتها لفظ (البان).

وذكر من متعلقات النبات لفظ (الرياحين، والآس، والعرار) النبات الذي يمنح الرائحة المعينة وقد فصله عن مادة الشجر لطبيعته الرقيقة والضعيفة، ومما تعلق بالطبيعة النابتة، أيضاً (الثمار) وهو كل ما يصدر عنها للأكل أو لغيره من دون أن يخصَّ (الثمار) باسم معين.

ومن متعلقات الطبيعة المتحركة (الحيوان) بألفاظه المختلفة في لغة الشاعر المألوفة في الطبيعة التي أحيها، منها (الخيل) بدلالاتها الحسية والمعنوية ومتعلقات صفاتها.

ثم الحيوان الذي يتحرك بين السماء والأرض من فصيلة الطيور جاء بلفظ الحمام والنسر والصقر والغراب وقرنها أيضاً بدلالاتها الرمزية والحقيقة، ثم استعمل مفردات الفاظ الطبيعة الوحشية ولا نعلم هل أن الحيوان على مقربة منه أم تجسد في مخيلته وهو (الأسد) و (الذئب) إذ رسم صورة هذا الحيوان الخفية كأنه واجهه.

وفي مفردات الزواحف اطرده عنده لفظتي الحية ومن أنواعها الأرقم وهي الفاظ بدلالة محورية عامة هي الحركة والانسباب، والملاحظ من استعمال الشاعر لألفاظ الحيوان المتحرك أنه أضفى عليها صفة (الأنسنة) وكأنه مولى بأنسنة الطبيعة ومناجاتها ومخاطبتها في صور فنية.

كثرت في لغة الشاعر مفردات اللون وقد اطردت في لغته الألوان الأساسية المتمثلة بالأبيض والأسود والأحمر والأخضر والأزرق وقد تفاوت استعمالها بين لون وآخر. ووجدته في الفاظ الألوان يميل إلى التضاد والتناقض في مقابلة الألوان لا سيما البياض مع السواد وهي ابرز ثنائية لونية متضادة في لغة الشاعر فهما في تقدير الشاعر وغيره احدهما عكس الآخر وكان الجمع بينهما في محاور متعلقة بالطبيعة. وفي نوع من الموازنة بين ابن خفاجة وغيره من شعراء الأندلس نجد اللون الأبيض أكثر حضوراً في لغته مع معانيه الإيحائية في المدح والصفاء والطيبة والنور، وهي معاني مرتبطة بسمة الإيمان والمؤمنين وكأنها إichاءات قدسية. ولمست الألوان الثانوية التي تجمع بين لونين أو أكثر تدور في محور معاني الغزل مثلاً (اللمى، اللعس، الحوة، والخضاب). ويمثل اللون (الأحمر) لوناً محورياً في صورة المعركة والحرب والنار والماء لقرينة عقلية تجمع بين اللون الأحمر وطبيعة الحرب.

- ذ -

وحين كشف البحث عن ألفاظ الآلات والأدوات في محيط الشاعر الاجتماعية واطراد استعمالها في قصائده هي مفردة (السيف) وما يتصل به من معانٍ مشتركة بمعناه المحوري وهو القوة والنصر. وأدوات الحرب الأخرى (الرمح) و (القنا) و (السهم) و (الدرع). أما الالفاظ الاخرى المتصلة ببيئة الشاعر فكانت دلالتها تتصل بمعناها الحقيقي في اصل الوضع واهمها: (القلم) و (اليراع) وان كان يخرج فيها احياناً الى معانٍ مجازية تبقى متصلة بدلالاتها المحورية الاولى في معاني الثقافة والفكر والمعرفة.